

جوانب الدرس التصريفي للفظ (آية)

أبو أوس إبراهيم الشمان

أستاذ مشارك: جامعة الملك سعود

صاحب هذه الكلمة من الغموض في المبنى ما يعانده - فيما يتبها للإنسان لأول وهلة - وضوح في المعنى، فالآية في أقرب بؤادر معانيها (العلامة)، لكن (الآية) وهي ترد في السياقات المختلفة تظهر أن المعنى أيضا متعدد. إذ يذكر من معانيها: العلامة والإمارة، والرسالة، وآية الشيء: شخصه، والجماعة، والمعجزة، والآية من القرآن: جملة أو جمل أثر الوقف في نهايتها. ويقال في المجاز: هو آية^(١).

وقد نالت من عناية الصرفيين واللغويين ما نجده مفرقا في بطون كتب مختلفة، وهي عناية تكشف عن تعدد في الأتوال والمذاهب التفسيرية بلغت حدا يكاد يستقصي الاحتمالات الرياضية في قلب المسألة على جوانبها المختلفة، ويهتما في هذا البحث أن نقف على تلك الجوانب التفسيرية التي تمثل حيوية في التفكير اللغوي العربي؛ فإنه ليروعك حين تستعرض أتوال الصرفيين واللغويين عن (آية) تعدد جوانب التفسير التصريفي لها.

اكتشف الصرفيون من اسقراهم اللفاظ وتعرف الانظمة المتحكمة بتصرفاتها أن اللفظ حين تكون العين واللام منه علتين تعتل اللام وتصح العين، غير أن لهذه القاعدة شواذ ذكرها الصرفيون وحاولوا بحثها وتفسير تصرفها، قال ابن عصفور في ذكر هذه الشواذ: "وقد شذ اليفظ في هذا الفصل فاعتلت فيها العين. منها: آية وراية وثاية وغاية وطاية. وكان حقها أن تعتل منها اللام ويصح العين. والذي سهل ذلك كون هذه الاليفظ أسماء فلا تتصرف فيلزم فيها من الإعلال والتفسير ما يلزم في الفعل"^(٢).

١: البحث عن الجذور:

تشير كلمة (آية) إشكالا في تاصيل جذورها إذ هي كلمة تجتافها الالف،

(١) المعجم الكبير، الآية: ٦٦٩/١ .

(٢) ابن عاصم، الفاخر، ٢٤٢ .

(٣) ابن عصفور، الممتع، ٥٨٢/٢ .

والالف في الاسماء على نوعين: الف منقلبة عن جذر، والف زائدة. وأما
الف المنقلبة عن جذر فقد تكون منقلبة عن واو أو ياء أو حمزة. وبناء
على هذه الإمكانيات تعددت الأقوال في جذر الكلمة:

(١/١) الف منقلبة:

١- يفهم من القول الذي نسيه سيويه إلى استاذة الخليل أن جذر (آية)
هو (ء/ي/ي)، لأنه يذهب إلى أنها منقلبة عن ياء. (٤)

٢- نسب الجوهري إلى سيويه أن الف واو، قال: "قل سيويه: موضع
العين من الآية واو؛ لأن ما كان موضع العين منه واو واللام ياء أكثر
مما موضع العين واللام ياء، ان، مثل شويت أكثر من باب حيت". (٥)

ومعنى ذلك أن جذرها (ء/و/ي).

ونقل ابن فارس عن الجوهري ذلك بنصه. ويبدو أن الصفي قد نقل عن
الجوهري ذلك دون تفصيل، ثم قال: "وأورده في أيا. باب الواو والياء"، وهو
بهذا يوهم أن عين (آية) وأوية بلا خلاف. (٦)

٣- ونقل ابن فارس قولا لم يعين صاحبه، قال: "قالوا: وأصل (آية): أية
بوزن أعية، مهموز همزتين، فخفت الأخيرة فامتدت". "وذهب إلى هذا
عبدالمعتمد إبراهيم أي أن الف من (آية) منقلبة عن حمزة لاجتماع همزتين
أولاهما مفتوحة والثانية ساكنة. وعلى ذلك فسأل جذر (ء/ي). على أن
اجتماع همزتين جذريين متجاوريين في كلمة واحدة أمر يدفعه ابن جنى الذي
يقول: "وإنما لم تجتمع الفاء والعين ولا العين واللام همزتين لشغل
(٧)

(٤) سيويه، الكتاب، ٤/٣٩٨.

(٥) الجوهري، الصحاح، ٦/٢٢٧٥.

(٦) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١/١٦٨.

(٧) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفي، غوامض الصحاح، ١٠٥.

(٨) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١/١٦٨.

(٩) عبدالمعتمد إبراهيم، تيسير الإعرال والإبدال، ١٦٧.

الهمزة الواحدة؛ لأنها حرف سفلى فى الحلق، وبعده عن الحروف، وحصل طرفنا فكان النطق به تكلفاً، فإذا كرهت الهمزة الواحدة نهم باستكراه الثنتين ورفضهما - لا سيما إذا كانتا مصطحبتين غير مفترقتين، فاء وعينا، أو عينا ولاما - أخرى، فلهذا لم تأت فى الكلام لفظة توات فيها همزتان أصلاً (١٠) البتة".

١/ب) الألف زائدة :

١- ممن يذهبون إلى زيادة الألف الكائى، وقد بين المعري أن هذا القول يوجب القول بالحدف وأن للحدف احتمالين: (١١)

الأول أن المحذوف همزة، ومعنى ذلك أن جذر الكلمة هو (ء/ء/ي).

الثانى أن المحذوف ياء، ومعنى ذلك أن جذر الكلمة هو (ء/ي/ي).

والغريب أن الجوهري ينسب هذا القول إلى الغراء، قال: "قال الغراء: هي من الفعل فاعلة، وإنما ذهبت منه اللام، ولو جاءت تامة لجاءت آيية ولكنها خفت". - وسبب ضعف هذه النسبة لاحقاً فى المدخل (٢/ه).

وننتهى من ذلك كله إلى أن الجذور المحتملة هي: (ء/ي/ي)، (ء/و/ي)،

(ء/ء/ي).

والجذر الراجع هو (ء/ي/ي)، ويعتمد ترجيح ذلك على أمور:

١) أن جمهور اللغويين والصرفيين على اختلافهم فى بنية الكلمة يتفقون على هذا الجذر.

٢) رد نسبة الجوهري (ء/و/ي) إلى سيبويه:

لا نجد فى كتاب سيبويه ما يشهد صحة ما نسبته الجوهري إليه، بل إن ما يستأنس به أنه افترض أن فعل (آية) - وإن لم يتعمل - هو فى إعلال عينه مثل الفعل (بباع)، قال: "فمما جاء فى الكلام على أن فعله

(١٠) ابن جنى، سر صناعة الإعراب، ١/٧١ .

(١١) أبو العلاء المعري، رسالة الملائكة ١٠٧ .

(١٢) الجوهري، الصحاح ٦/٢٢٧٥ .

مثل (بعت): آي، وغاية، وآية" (١٣).

يل بصرح صاحب الكتاب بأن العين ياء في معرض ذكره لقول آخر غير قول الخليل، قال "وقال غيره هي آية وأي تَعْلَن، ولكنهم قلبوا الياء وأبدلوا مكانها الألف لاجتماعهما، لأنهما تکرهان" (١٤).

وتعقب ابن بري الجوهرى ورد ما نسب إليه إلى سيويه، جاء في اللسان "قال ابن بري: لم يذكر سيويه أن عين آية واو كما ذكر الجوهرى، وإنما قال أصلها آية، فأبدلت الياء الساكنة ألفاً" (١٥).

١٢) الاحتجاج لبائية العين:

صرح ببائية عين (آية) ابن جنى، قال: "وأما (آية) فعينها ياء وهي من مضاعف الياء نحو (حييت، وعييت)، ويدل على ذلك أن الآية هي العلامة، وقد قال الشاعر:

قف بالديار وقوف زائر * * * وتأي إنك غير صاغر

فمعنى (تأي): تثبت وتنظر وتأمل آياتها وعلاماتها. ولو كانت من الواو لقال (تاؤ) كما تقول في (تلوى وتسوى): تلو وتسو" (١٦).

وأيد ابن جنى قوله ببائية عين (آية) بقول الشاعر:

لم يبق هذا الدهر من آياته * * * غير أثنائه وأرمدائه

فالآياء وزنها: أفعال وهي جمع آي، وآي جمع آية، وظهور العين ياء في الآية يدل على أن (الآية) من الياء. وقال العكبري إن الجمع (آياء) يدل على أن العين ياء إذ لو كانت عينها وأوا لقائرا: آواء. وجاء في

اللسان نحو من ذلك، قال: "وعين الآية ياء كقول الشاعر:

١٣) سيويه، الكتاب ٤/٣٩٨.

١٤) السابق، نفسه.

١٥) اللسان، أيا.

١٦) ابن جنى، المنصف، ٢/٥٧٤.

١٧) السابق، ٢/١٤٣.

١٨) العكبري، التبيان، ١/٥٦.

- لم يبق هذا الدهر من آياته

- فظيرون العيين في آياته يدل على كون العيين يساء ، وذلك إن وزن آياء
أفعال، ولو كانت العيين واوا لقال آوايه، إذ لا مانع من ظهور الواو في
هذا الموضع. (١٩)

وجزم ابن فارس بيانيتها تصف الكلمة في المدخل (أي)، قال: "الهمزة
والياء والياء أصل واحد، وهو النظر. يقال تايًا تايًا تايًا أي تمكك. قال
قف بالديار وتوف زائر - وتأي، إنك غير صاغر
قال لبيد:

وتأيبت عليه قافلا وعلى الأرض غيابات الطفل

أي انصرفت على تؤدة. ابن الأعرابي: تايبت الأمر انتظرت إمكانه.
قال عدي:

تايبت منهن المصير فلم أزل أكفكف عني واتنا ومنازعا

ويتقال: ليست هذه بدار تشية، أي مقام.

وأصل آخر وهو التعمد، يقال تايبت على تفاعلت، وأصله تعمدت آيته
وشخصه. قال:

به أتايا كلُّ شأن ومفرق

وقالوا: الآية العلامة، وهذه آية مأياة، كتولك علامة معلمة. وقد أئيت.

قال:

ألا أبلغ لديك بني تميم = = = بآية ما تحبون الطعاما (٢٠)

أما إدراج ابن فارس (آية) في باب (أيد) من معجمه (مجمل اللغة) فهو
تجاهل منه علته الاختصار. (٢١)

٢: مشكلة اثبتية:

نود جبل أن نذكر أقوال الصرفيين في بنية (آية) ووزنها أن نذكر

(١٩) ابن منظور، اللسان، "أيا"

(٢٠) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١/١٦٧-١٦٨.

(٢١) ابن فارس، مجمل اللغة، ١/٢٢٠.

بالفرق بين (البنية) و(الوزن الصرفي)، فالبنية هي الشكل التجريدي لاصوات اللفظ الصحيح السالم من العلة و الهمز و التضمين. أي هو الوزن الصرفي للنظير الصحيح للفظ. أما الوزن الصرفي فهو الشكل التجريدي للفظ نفسه الذي يراعى فيه بيان ما فيه من حذف أو زيادة، ومن أجل ذلك نجد أننا نتحدث عن بنية للكلمة (آية) ونتحدث عن وزن صرفي قد يخالف البنية بعض المخالفة. وقد يوافق الوزن البنية وقد يخالفها. وللبنية صفة الشبات وأما الوزن فمرهون بحال اللفظ. وتكون البنية مجردة من اللواحق أما الوزن فيذكر معه لواحق اللفظ مما يكتب معه إملائيًا.

وتظهر فائدة التمييز بين البنية التي لها صفة الشبات والوزن الذي له صفة التغيير في بيان التصرفات التي تعرض لها الكلمة مثل الحذف في مثل الفعل الأجوف نحو: (قل) فهو على بناء: قَعْل/يَقْعُل، أما وزنه فهو (نُل)، واسم المفعول من: (مقول)، فهو على البناء: مَقْعُول، ولكن وزنه الصرفي: مَقْعُل أو مَقْعُول. ومثل القلب المكاني فالفعل (أيس) على البناء: قَعْل، ولكن وزنه الصرفي: عَقْل.

وتعتمد الأقوال المختلفة في بنية (آية) على الاختلافات التفسيرية لهذه الآلة، فهي كما ذكرنا سابقا قد تكون زائدة أو منقلبة، والانتقال قد يكون عن ياء أو واو أو همزة. وتعتمد على علة القلب، وعلى الحركة المفترضة للحرف المقلوب.

وجاءت الآبئية المحتملة في أقوال النحويين على الآتية:

(٢٢) يجتمع في اسم المفعول: (مقول)----(مقوول) واوان ساكتان فتحذف إحداهما تخلصا من الساكتين، واختلف في المحذف ذهب الخليل وسيبويه إلى المزيد وذهب الاخفش إلى حذف الحرف الاصل. قال سيبويه: "وحدت واو مفعول لانه لا يلتقي ساكتان"، الكتاب، ٤/٣٤٨، وذكر المازني مذهب الاخفش ورجحه على قول الشيخين، واحتج ابن جنى لهذا المذهب، انظر: المنصف، ١/٢٨٨-٢٩٠.

١/٢ - البناء (فعل):

ونسب سيويه القول بهذا إلى غير الخليل، قال: "وقال غيره: إنما هي آيةٌ وأيّ فعل" (٢٣).

ولست نعلم أهو مذهبه الذي يذهب إليه أم مذهب أحد آخر لم يصرح به، أما ابن بري فربما يفهم من قوله الذي نقلناه سابقا أن هذا رأي

سيويه. أما الرضي، وابن عقيل، فنجد أنهما صرحا بنسبته إليه. (٢٤) (٢٥)

وينقل صاحب اللسان عن الفراء في كتاب المصادر في معرض تعليقه ترك همز الياء من (آية)، فقال: "لأنها كانت فيما يرى في الأصل آية". (٢٦)

أما أبو العلاء المعري فقال: "وهذا القول في آية قول الفراء وقد حكاه سيويه عن قوم من النحويين لم يسمهم ولا شك أن الفراء تبعهم في ذلك"، ونجد نسبة هذا إلى الفراء عند ابن عصفور وعند الرضي، والسمين (٢٧) (٢٨) (٢٩)

الطليبي، وابن عقيل أيضا، والبغدادي. (٣٠) (٣١) (٣٢)
واختار هذا المذهب العكبري، وابن مالك. (٣٣) (٣٤)

-
- ٢٣) سيويه، الكتاب ٤/٣٩٨ .
 - ٢٤) الرضي، شرح الشافية، ١١٨/٣ .
 - ٢٥) ابن عقيل، المساعد، ١٦٨/٤ .
 - ٢٦) ابن منظور، اللسان، أيا .
 - ٢٧) المعري، رسالة الملايكة، ١٠٧ .
 - ٢٨) ابن عصفور، الممتع، ٥٨٣/٢ .
 - ٢٩) الرضي، شرح الشافية، ١١٨/٣ .
 - ٣٠) السمين، الدر المصون، ٣٠٨/١ .
 - ٣١) ابن عقيل، المساعد، ١٦٨/٤ .
 - ٣٢) البغدادي، الخزانة، ٥١٧/٦ .
 - ٣٣) العكبري، التبيان، ٥٦/١ .
 - ٣٤) ابن مالك، التسهيل، ٣١٠ .

أما ابن عصفور فرد هذا البناء. وسنورد احتجاجة عند درس التغيير
الصوتي الصرفي.

والميزان الصرفي موافق للبنية حسب هذا القول، فهو (تَعَلَّة).

٢/ب- البناء (تَعَل):

وينسب سيبويه هذا البناء إلى الخليل وهو ما يفهم من بيانه أن (آية)
مما جاء في الكلام على أن فعله المفترض مثل (بعث)، والعين من هذا الفعل

متحركة في الأصل. وقال المعري في معرض ذكره لأقوال

النحويين: "للنحويين في آية ثلاثة أقوال: الأول قول الخليل وهو أن آية
وزنها فَعَلَة بتحريك العين وأصلها (أَيَّة) (٣٧)."

وجاء في اللسان نقلا عن ابن بري "وحكى عن الخليل أن وزنها فَعَلَة" (٣٧)

وهناك من ينسب هذا إلى الخليل وسيبويه كليهما، متهم ابن
خالويه، والسمين الحلبي. (٣٩) (٤٠)

والميزان الصرفي موافق للبنية حسب هذا القول، فهو (تَعَلَّة).

٢/ج- البناء (تَعَل):

قال السمين الحلبي: "وذهب بعض الكوفيين إلى أن وزنها أَيَّة، بكسر
العين مثل ثَبِيَّة" (٤١)، وذكر هذا البناء دون أن ينسبه إلى أحد يعينه ابن
عقيل. (٤٢)

(٣٥) ابن عصفور، الممتع، ٢/٥٨٣.

(٣٦) سيبويه، الكتاب، ٣/٣٩٨.

(٣٧) المعري، رسالة الملاشكة، ١٠٣.

(٣٨) ابن منظور، اللسان أيا.

(٣٩) الفارسي، الحجية في القراءات المبع، ص ١٩٣.

(٤٠) السمين، الدر المعنون، ١/٣٠٨.

(٤١) السابق، ١/٣٠٩.

(٤٢) ابن عقيل، المعتمد، ٤/١٦٩.

ولعل هذا البناء ليس من قول أحد بعينه بل هو افتراض جدلي للدفاع عن البناء الأول (فَعَلَ)، وهذا ما نفهمه من كلام أبي العلاء، قال: "فإن قيل فما يمنع أن تكون آية فعلة أو فعلة لأننا إذا بنينا شيئاً على هذا الوزن لزمنا فيه القلب إذ كان الذي يوجه حركة المنقلب وانفتاح ما قبله، ولو بنينا مثل معدة من باع وقال لقلنا: باعة وقالة، وكذلك لو بنينا مثل لبؤة، قال اللفاظ الثلاثة تستوي في الانقلاب على حال الضم والفتح والكسر؛ قيل لا يمتنع مثل ذلك ولكن الحمل على الأكثر هو القياس لأننا نجد فعلاً في ذوات الياء والواو كثيراً، ومع هذا فإن باب خشبة أشيع في الكلام من باب سبعة ومعدة".^(٤٣)

ومفاد هذا الجدل الذي فصله المعري أن هذه الياء المنقلبة الفاء إنما انقلبت لأنها تحركت بعد فتحة، وأما حركتها فقد تكون فتحة أو كسرة أو ضمة، ولكن الراجح كونها فتحة لشيوع ذلك.

وذكر البغدادي رد هذا البناء، قال "وردّ بأن ما كان كذلك يجوز فيه الفك والإدغام، كحبي وحي"^(٤٤)، ومعنى هذا أنه لا يكون مكسور العين لتخلف ظاهرة الفك والإدغام، وهذه حجة واهية إذ القياس غير صحيح فالفك والإدغام جائز في الأفعال لكنه ممتنع في الأسماء متعاً للبس إذ الأسماء منها ما يكون على (فَعَلَ) مثل: ظلّ، ومنها ما يكون على (فَعَل) مثل: ظلّل.

والميزان الصرفي موافق للبنية حسب هذا القول، فهو (فَعَلَة).

د/٢- البناء (فَعَلَ):

قال السمين الحلبي: "وتيل وزنها فعلة بضم العين"^(٤٥)، وقال ابن عقيل: "وتيل وزنها فعلة كسرة"^(٤٦).

(٤٣) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٣.

(٤٤) البغدادي، خزانة الأدب، ٥١٨/٦.

(٤٥) السمين، الدر المصون، ٣٠٩/١.

(٤٦) ابن عقيل، المعاهد، ١٦٩/٤.

وينطبق على هذا البناء ما قلناه عن البناء السابق وما نقلناه عن المعري متناول البناءين .

قال البيهقي: "وردّ بأنه كان يجب قلب الضمة كسرة".^(٤٧)
ولم يبين علة ذلك وهو ثقل الضمة بعد ياء وتبل ياء أخرى، وليست هذه بحجة قوية لأن هذا الثقل قد نرّ منه بالإعلال.
والميزان الصرفي موافق للبنية حسب هذا القول، فهو (فَعَلَّة) .
٥/٢-فَاعَلَّة :

نقل صاحب اللسان عن كتاب المصادر للفراء نسبتَه إلى الكسائي: "قال:
وكان الكسائي يقول إنه فاعلة منقوصة"، وقال المعري: "والقول الثالث في آية قول ينسب إلى الكسائي وهو آية أصلها فاعلة".^(٤٨)^(٤٩)

ومن الغريب نسبة الجوهري هذا القول إلى الفراء، قال: "قال الفراء هي من الفعل فاعلة، وإنما ذهب منه اللام، ولو جاءت تامة لجاءت آيية، ولكنها خففت".^(٥٠) وعلة القرابة أن الفراء نفسه يرد قول الكسائي ويندعه بقوله: "ولو كان كذلك ما صفرها إيية، بكسر الالف".^(٥١)

وذكر البيهقي أن أصلها آيية كضاربة، حدثت العين استحقاقاً لتوالي ياءين أو لهما مكسورة، وقال في رد هذا البناء: "وردّ بأنه يلزم قلب الياء همزة لوقوعها بعد الف زائدة في قولهم: آي".^(٥٢)
والميزان الصرفي مخالف للبنية حسب الروايتين: فعلى المشهور عن الكسائي هو (فَاعَلَّة)، وعلى الرواية التي انفرد بها الجوهري هو: (فَاعَة) .

(٤٧) البيهقي، خزنة الأدب، ٥١٨/٦ .

(٤٨) ابن منظور، اللسان، أيا .

(٤٩) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٧ .

(٥٠) الجوهري، الصحاح، ٢٢٧٥/٦ .

(٥١) اللسان، أيا . والرواية في كتاب: دقائق التصريف، للمؤدب: (أَيَّة) ص ٢٢٩ .

(٥٢) البيهقي، خزنة الأدب، ٥١٨/٦ .

تشير الالف من(آية) خلافا تفسيريا على نحو ما اثارنا من خلاف نسي مسالتي الجذور والبنية وكل هذه القضايا متداخلة آخذ بعضها باعناق بعض والصرفيون يذكرونها مجملة دون أن يعمدوا إلى تفصيل ذلك على النحو الذي توخيتاه. وقد رأيتنا أن هناك اتجاهين في تفسير هذه الالف أحدهما أنها مبدلة والآخر أنها زائدة، وحاول الذاهيون إلى إبدالها بيان الاصل الذي ابدلت منه ،وحاول الذاهيون إلى زيادتها تعليل نقصان جذور اللفظ.

٢/٣-تفسير الإبدال:

١)الالف مبدلة من الياء في قول الخليل الذي رأيناه يذهب إلى أن نية اللفظ(آية) هي(تَعَلَّة)،فالياء التي هي عين اللفظ حركت بالفتحة سبقت بفتحة فقلبت إلى الف وهذا هو شأن الياء والواو فهما تقلبان إلى لف متى تحركتا وسبقتا بالف.

ويشير هذا التفسير بعض الإشكال وهو أن في اللفظ ياءين فلم ابدلت لياء الاولى وهي عين اللفظ ولم تبدل اللام ؟ومن المعلوم أن الطرف هو حل التقير وموطن الإعلال.وقد نسر سيبويه هذا فيما يتسبه إلى الخليل انه من الشذوذ وأنه غير مطرد،ولهذا الشذوذ نظائر في الفاظ أخرى،فإن بلت الياء الاولى من(آية) وليس حقها الإعلال فقد ترك الإعلال شذوذا ، الكلمات:(قَوْد، ورُوع، وحُول)، فهذه الفاظ تحركت فيها الواو وسبقت حة ولم تبدل الواو فيها الفاء. (٥٣)

ولما كانت علة الإبدال تحرك الياء وانفتاح ما قبلها بدا للوهلة أولى القول بفتح الياء متطويا على شيء من التحكم تنبيه إليه المعري باب عنه بما سقتاه سابقا في درس البنية،فحركة الياء يمكن جدلا أن ن ضمة أو كسرة ولا يدنع ذلك سوى الاعتماد على شيوع نسبة البنية . الياء المفتوحة،فياب خيبة أشيع من باب سبعة،ومعدة.

(٥٣)سيبويه،الكتاب،٤/٣٩٨ .

ويشير قول الخليل مشكلة أخرى وهي أن اسم الجنس هو الجيمعي (أي قد تطرفت فيه الياء بعد الف والياء والواو من تطرفها بعد ألف تليها همزة. وقد أجاب عن هذا المعري بقوله: "ولم تتقلب الياء والياء بعد الألف في آية همزة كما تنقلبت في شقاء ووشاء لأنه من سقيت ووشيت إذ كانت العرب لا تجمع على الحرف الواحد علة العين واللام ولكن يقتصرون على علة أحد الحرتين"، ولترك هذا الهمزة علة مختلفة سياقي ذكرها.

(٢) أما القول الذي نسيه الجوهري إلى سيويه وهو أن أصل آية (أوية) فلا يختلف من حيث تفسير الألف عن قول الخليل فالقانون واحد.

(٣) يبدو أن الشذوذ الذي يترتب على تفسير الخليل أوحى إلى غيره بتفسير يخرج به عن ذلك الشذوذ، ولذلك نجد من ذهب إلى أن الياء المبدلة هي لام الكلمة ولكنها تليها مكانيا بعد ذلك إذ نقلت في موضع العين قال السمين الحلبي: "وقيل أصلها: آية بإعلال الثاني، فنقلبت لأن قدمت اللام وأخرت العين وهو ضعيف"، وذكر مثل ذلك ابن عقيل، وذكر البغدادي أن أصلها آية كقصبة، إلا أنه أعلت الثانية على القياس، نصارت آية كحياة ونواة، ثم قدمت اللام إلى موضع العين، فوزنها قلعة. وهذا الوزن انصرفي مخالف لبنيتها: (نَعْلَةٌ).

(٤) يعتمد القول الذي نسيه سيويه إلى غير الخليل وذهب إليه الفراء على مبدأ آخر وقانون مختلف فهو يفترض بنية مختلفة عن البنية التي افترضها الخليل فالبنية هي: (نَعْلَةٌ)، أما علة التفسير فهي التخلص من المتماثلات قال سيويه: "إنما هي آية وأي نحل؛ ولكنهم قلبوا الياء

(٥٤) الممري، رسالة الملائكة، ١٠٣-١٠٤.

(٥٥) السمين، الدر المصون، ٣٠٩/١.

(٥٦) ابن عقيل، المساعد، ١٦٩/٤.

(٥٧) البغدادي، خزانة الأدب، ٥١٨/٦.

(٥٨) انظر أمثلة أخرى للتخلص من الياء: الشمسان، التخلص من المتماثلات

لفظاً، الصفحات: ١٠١، ٩١، ١٠٥-١١١.

وأبدلوا مكانها الالف لاجتماعهما، لانهما تکرهان كما تکره الواوان،
فأبدلوا الالف كما قالوا الحيوان، وكما قالوا ذوائب، فأبدلوا الواو
(٥٩)
(٦٠)
كراهة الهمزة"

ويجعل القراء اجتماع الياءين في الاصل علة لتراكم همزة الياء بعد
الالف، قال: "وإنما تركت العرب همزتها كما يهمزون كل ما جاءت بعد الف
ساكنة لانها كانت فيما يرى في الاصل أية، فشغل عليهم التشديد فأبدلوه
الفا لانفتاح ما قبل التشديد، كما قالوا إيما لمعنى أمّا".
(٦١)

فليس الأمر من قبيل تتابع الف وياء بل هما بمنزلة حرف واحد. وسوغ
هذا القلب وجود ياء مشددة مسبوقة بفتحة، وهذا يقربه من تفسير الخليل
بعض التقريب؛ ولذلك نجد العكبري يرد القولين معا، قال: "وكلا الوجهين فيه
نظر؛ لأن حكم الياءين إذا اجتمعتا في مثل هذا أن تقلب الثانية لقربها
من الطرف".
(٦٢)

ويحمل القاسم بن محمد المؤدب هذا التغير على ظاهرة أخرى هي قلب
الواو الساكنة المعبوقة بفتح الف في مثل (يوجل---ياجل)، وفي (دويّة)
للمفازة، قالوا: داوية. قال الجوهري: "قلبوا الواو الاولى الساكنة الفا
(٦٣)
(٦٤)
لانفتاح ما قبلها".

(٥٩) قال ابن عصفور "نحو ذوائب في جمع ذؤابة أصله ذائب فأبدلت الهمزة
واوا هروبا من ثقل البناء مع ثقل اجتماع الهمزتين والالف، لأن
الالف قريبة من الهمزة لانها من الحلق كما أن الهمزة
كذلك. فكانت قد اجتمعت في الكلمة ثلاث همزات. فالتزموا لذلك إبدال
الهمزة واوا". الممتع في التصريف، ١/٢٦٣ .

(٦٠) سيويو، الكتاب، ٤/٣٩٨ .

(٦١) ابن منظور، اللسان، أيا .

(٦٢) العكبري، التبيان، ١/٥٦ .

(٦٣) المؤدب، دقائق التصريف، ٢٢٨ .

(٦٤) الجوهري، الصحاح، ٦/٢٣٤٤ .

ويمكن فهم مذهب التخفيف الذي يذهب إليه الفراء في ضوء الاستخدام اللهجي القديم الذي يجعل الياء الساكنة بعد فتح الفاء، نحة الفراء أنهم: "إذا كانوا يفعلون ذلك بالياء الساكنة وحدها في نحو (عيب وعاب) و(ذيم وذام) فالأحرى أن يفعلوا ذلك إذا انضاف إليها ياء أخرى".^(٦٥)
وأما هذه اللهجة فإشار إليها أبو زيد الانصاري في نوادره، قال:

"وأنشدني أبو القول لبعض أهل اليمن:

أي قلوب ركب تراها طاروا عليهن قتل علاها
وأشدد بمتني حقب حقواها ناجية وناجيا أباه

القلوب مؤنثة وعلاها أراد عليها ولغة بني الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفا يقولون أخذت الدرهمان واشترت ثوبان والسلام علاكم وهذه الأبيات على لغتهم^(٦٦)، وجاء في مجاز القرآن: "وزعم أبو الخطاب أنه سمع توما من بني كنانة وغيرهم يرفعون الإثنيين في موضع الجر والتصب"^(٦٧).

وذكر الفراء في تعليل رفع المثني في قوله تعالى: إن هذان لآحاران] [٦٣-٦٤] وجهين أحدهما أنها جاءت على لغة الحارث بن كعب، قال: "يجعلون الإثنيين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالالف. وإنشدني رجل من الأسد. يريد بني الحارث:

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساعا لناباه الشجاع لصمما

(٦٥) ابن عساق، الممتع، ٥٨٢/٢.

(٦٦) أبو زيد الانصاري، النوادر في اللغة، ٥٨. والنحويون مختلفون في

النظر إلى هذه الظاهرة بين معمم ومخصص فالانصاري يعمم قلب

الياء المسبوقة بفتح فيورد أمثلة من المثني وغيره، ومنهم من

يخصص هذا بغير المثني وأما المثني وما انتهى بالف فيذهب إلى أن

الف التزم وعومل كالاسم المقصور؛ إذ جعل المثني بالالف في

جميع حالاته الإعرابية. انظر: الميوطي، شرح شواهد المفتي، ١٢٨/١

(٦٧) أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن ٢١/٢.

قال: وما رأيت أفصح من هذا الأسدي وحكى هذا الرجل عنهم: هذا خط يدا
(٦٨)
أخي بعينه".

وقال الزجاج: "وهؤلاء أيضا [بنو كنانة] يقولون: ضربته بين أذناه، ومن
يشترى مني الخفان وكذلك روى أهل الكوفة أنها لغة لبني الحارث بن
(٦٩)
كعب".

وجاء في شرح المفصل أنها لغة لبني الحارث وبتون من ربيعة، وتند
عزاها الرواة لخثعم، وهمدان وزبيد، وكنانة، وبنو العنبر ويشي
الهيجم، وبتون من ربيعة ويكر بن وائل، وبنو عذرة.
(٧١)

وهذه اللهجة مستمرة في جنوب الجزيرة في حضرموت إذ يقولون: (فشا)
في: أيضا، و(عان) في: عين، وكذا فعل في بعض الألفاظ من لهجة اليهود في
وسط اليمن مثل: (وان) في: أين و(عان) في: حرف العين. وهذا التخيير كثير
مسموع إلى اليوم في لهجات البادية في وسط الجزيرة العربية، إذ نسمعهم
(٧٢)
يقولون (خار) في: خير، و(مار) في: مير، و(عار) في: عير، و(طيار)
في: طير، و(شاخ) في: شيخ، و(علاهم) في: عليهم، و(غار) في: غير، و(باش) في: بيض،
و(ياضا) في: يضاء، و(القانة) في القينة، و(يسني) في: يعني، ومن إنشادهم:
يا مرحبا (بضمالة) كم درهمت من (لالة)

يريد: شعيلة، وليلة. ويلاحظ حدوثه على مستوى الياء القصيرة (الكرة)
وذلك في قولهم (ف البيت) أي: قال البيت --- في البيت.

على أن أمن عصفور لا يرى في التوك بإعلال المين على النحو الذي

(٦٨) الفراء، معاني القرآن، ١٨٤/٢.

(٦٩) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ٣٦٢/٤.

(٧٠) ابن عسثير، شرح المفصل، ١٢٨/٢.

(٧١) الدلائي، نتائج التحصيل، ٣٧٠/١.

(٧٢) ريبين، اللهجات العربية القريبة القديمة، ١٢٣-١٢٥.

(٧٣) تال محمد المندي: "وهذه اللغة بانسبة لطلحى ولدى شائعة اليوم في

بادية نجد"، انظر: الدماميني، تعليق الفرائد، ٢٠٣/١، حاشية ٣.

وصفه القراء مزية على قول الخليل لأن قول الخليل معتمد على إعلال العين أيضا، واحتج بأن "إبدال الياء الساكنة ألفا ليس بمستمر، وأما (العاب والعيب) و (الذام والذيم) فهما مما جاء على (فَعَل) تارة وعلى (فَعَل) أخرى". ولعل ما سقناه من شواهد هذه الظاهرة قديما وحديثا يقوي مذهب القراء.

وقد وصف ابن مالك مذهب القراء بأنه أسهل الوجوه، قال ابن عقيل: "وجه أنه أسهل، أنه ليس فيه إلا إبدال الألف من حرف علة ساكن؛ ولكن القياس التصحيح والإدغام، فابدلوا تخفيفا، وإذا أبدلوا نسي توية ونحوها، حيث قالوا: تابة، فقال: تبلت تويتك وتابتك، وقالوا أيضا: رحم الله حويتك وحابتك، ونمت نومة ونامة، فلأن يبدلوا عند اجتماع الياءين (٧٤) أخرى".

٣/ب: تفسير الحذف

يؤدي القول بزيادة الألف - وهذا مذهب الكسائي - إلى اقتراض حذف من جذور اللفظ؛ لأن عدة حروف اللفظ أقل من البنية المفترضة (فاعلة)، ونحاول الممري بيان ذلك فقال: "فإذا صح ذلك فلا بد من حذف ولا يكون المحذوف إلا أحد حرفين الهمزة أو الياء". (٧٦)

وهناك من يفترض أن الياء الأولى قلبت ألفا فاجتمعت ألفان. (٧٧)

٣/ب: ١- المحذوف همزة:

ويتابع الممري تفصيل أمر الحذف، فعلى الفرض الأول قال: "فإذا قيل إن المحذوف همزة فاصلها (أثية) فحذفوا الهمزة، وكان حذفها هاهنا أقيس منه في قولهم هو شاكٌ السلاح ومكانٌ هارٌ. وقد حكى الخليل أن العرب قالت سؤته سواية، والاصل سوائية فحذفوا الهمزة لما فيها من الكلفة" (٧٨)

(٧٤) ابن عصفور، الممتع، ٥٨٣/٢.

(٧٥) ابن عقيل، المعتمد، ١٦٨/٤.

(٧٦) الممري، رسالة الملائكة، ١٠٧.

(٧٧) ابن منظور، اللسان، أيا. وانظر نص هذا القول في المدخل: ٣/ب: ٣.

(٧٨) الممري، رسالة الملائكة، ١٠٧.

ولئن حذفتم الهمزة هنا فإنها حذفتم في القضاة أخرى لا يظهر الشك
لا كما يظهر في هذه، قال المعري: "وقد قالوا ناس وأصلها ناس فحذفوا
(٧٩)
همزة؛ وحذفها في آية إذا كانت فاعلة أقيس".

وبين المعري لم كان حذفها من (آية) أقيس وعلل لهذا الحذف قال:
لأنها وقعت بعد الالف والالف مجانية للهمزة وتبيل تلك الالف همزة
بد الهمزة المحذوفة ياء فكان الطرح كالواجب في هذا الموضع".
(٨٠)

ويقتضي القولان- قول الخليل بقلب العين ألفا لفتحها بعد فتح وقول
ثاني بقلب العين لأنها ياء بعد الف- أن تكون (آية) مأخوذة من فعل
في العين مثل (باع) وهذا ما يفهم من قول سيبويه: "فمما جاء في
للام على أن فعله مثل: بع: أي، وغاية، وآية".
(٨١)
وأما على قول الكسائي
يتنها صيغت صياغة اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المجرد، ونصل المعري
بقوله: "وإذا تبيل بهذا القول وجب أن تكون جارية على فعل أميت كأنه
وزن (باع) من آية فليل: آيت تئي [مثل: باع: تبيع] فهي آية، مثل أميت
م فهي آتمة فاعتلت الالف في الماضي كما اعتلت في آم وباع فبمزت في
الفاعل لما التقى ساكنان وهما الف فاعل والالف التي كانت معتلة
قلب في الماضي ولم يكونوا ليردوها إلى أصلها وقد أعلوها في الفعل؛
هم يرغبون أن تكون الأفعال وأسماء الفاعلين متوية في العلة أو
الصحة فإذا صح أنهم حذفوا في شك وبابه كان الحذف هاهنا ألزم
(٨٢)
من".

٢/٢- المحذوف ياء:

هذا هو القرض الثاني الذي يقتضيه القول بحذف العين من (آية)، ولكن
الحذف في هذا القرض تختلف عن علة الحذف في القرض السابق فهي

(٧٩) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٧.

(٨٠) السابق، نفسه.

(٨١) سيبويه، الكتاب، ٣٩٨/٤.

(٨٢) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٧.

في السابق تخلص من التقاء مثلين هما الفاء والعين؛ أما هنا فهي تخلص من اجتماع مثلين هما العين واللام. قال المعري مفصلاً هذا: "وإذا قيل إن المحذوف ياء فالعلة في ذلك أنهم كرهوا اجتماع الحرفين المثلين اللذين يكره اجتماع مثلهما إذ كانا لياكالدالين في رادٍ وبإيه؛ لأن الياء والواو لهما مزية في الإلقاء إذا كانتا متشقلتين ولم يجر في كلامهم مثل حايبة بالإظهار ولا مثل حايّ بالإدغام وقد كثر ذلك في غير الياء. واستعملوا تضعيفها في الماضي دون المستقبل فقالوا حيّ وعيّ ولم يستعملوا مثل ذلك في الواو ولم يأت عنهم توّ وإن كان من القوة ولا حوّ إذا نطقوا بالفعل من الحوّة وكل ذلك لشغل الواو عليهم".

أورد ابن عصفور مذهب الكسائي وبين أنه على حذف الياء تخلصاً من اجتماع الياءين إذ قد حذفت الياء وهي وحدها في (بالة) التي أصلها: بالية ولكن ابن عصفور رد هذا منتصراً لقول الخليل محتجاً بأن هذا القول ليس فيه مزية على قول الخليل فهو معتمد على الإعلال بالحذف وقول الخليل معتمد على الإعلال بالقلب، واحتج بأن حذف الياء التي هي عين اللفظ ليس بمتطرد، وأن في قول الكسائي إدعاء أصل لم يلفظ به.

وخلص ابن عصفور إلى ترجيح قول الخليل.

(٨٣) رسالة الملائكة، ١٠٧.

(٨٤) يفهم مما ورد في (المنصف، ٢/٢٣٦) أن (بالة) هي مصدر الفعل (بالي) إذ تقول: باليت. وكان مصدر الفعل قبل الحذف (بالية) مثل (عافية)، ولو لم يقل بحذف الياء التي هي لام الفعل لظهرت (بالة) كأنها على وزن (تَعَلَّة) وهذا يعني أن العين معتلة وهو خلاف الصحيح إذ المعتل هو اللام، أما العين من بالة فهي اللام ووزنها على هذا (قَاعَة). ويفهم من هذا أن الياء قد حذفت وهي وحدها في هذا اللفظ؛ فمن الأولى القول بحذف الياء في آية التي أصلها: آبية؛ لاجتماع ياءين لا واحدة.

(٨٥) ابن عصفور، الممتع ٢/٥٨٣-٥٨٤.

(٨٦) السابق، ٢/٥٨٤.

ولست كل هذه الحجج مسلمة لابن عصفور إذ قوله إن في مذهب الكسائي ادعاء أصل لم يلفظ به فيه تحكم، وذلك إن مذهب الكسائي لا يختلف عن مذهب الخليل من هذه الجهة فالأصل الذي قدره الخليل لم يلفظ به أيضا.
٣/ب:٣-المحذوف الف:

ونقل القول بذلك ابن منظور عن الفراء الذي أورد القول ورده، جاء في اللسان: "قال [الفراء]: وقال بعضهم آية فاعلة صيرت ياؤها الأولى الفاعلة كما فعل بحاجة وقامة، والأصل حائجة وقائمة. قال الفراء: وذلك خطأ لأن هذا يكون في أولاد الثلاثة ولو كان كما قالوا لقبل في نواة وحياء ناية وحياة، قال: وهذا فاسد."^(٨٧)

وعلى كل هذه الأقوال يكون وزن (آية): فآلة.

٤: القضايا التصريفية

لم يكتف الصرفيون بمحاولاتهم التفسيرية لكلمة (آية) بل ذهبوا شوطا بعيدا في بيان ما يستتبعه التفسير من أشكال تصريفية أخرى تختلف باختلاف المسلمات التي ينطلق منها التصرفي، وأما التصريفات التي يخضع لها الاسم وينال بنيته، بها، شيء من التغير الداخلي فهي التصغير وجمع التكسير والنسب.

٤/١: التصغير

ينال الاسم المصغر بالتصغير من التغير في بنيته ما يغير الشروط التي تغيرت بها أصوات المكبر، ولذلك يقال إن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها.^(٨٨)

وقبل أن نمضي في عرض مسألة تصغير (آية) نود أن نذكر بالفرق بين (الصيغ التصفيرية) و(الميزان الصرفي)، فالصيغ التصفيرية أبنية تجريدية

(٨٧) ابن منظور، اللسان، أيا .

(٨٨) ليس هذا أمرا مطلقا؛ إذ لا يعود المقلوب قلبا مكانيا إلى أصله، ولا تعود الألف المنقلبة عن همزة في مثل (آدم) إلى أصلها.

ثابتة تقاس عليها الأسماء المصفرة بناء على عدد حروفها بغض الطرف عن
المجرد منها والمزيد؛ إذ تقابل المجردات والزوائد بحروف الميزان دون
تفريق، فما يتألف من ثلاثة حروف فصغته التي يصغر عليها
هي: (فُعِيل)، أما ما زاد على ثلاثة فعلى صيغة: (فُعَيْل)، وثم صيغة ثالثة
تتوسع تصغير ما عوض عن حذف أحد حروفه لزيادته على أربعة، أو إن كان
قيل آخره حرف علة وهو على خمسة أحرف، وهي الصيغة: (فُعَيْيل). وأما
(الميزان الصرفي) فهو يزن الكلمات المصفرة كما يزن المكبرة مراعى في
ذلك الزيادة والحذف. ونرجح استخدام (صيغة التصغير) إشارة إلى هذا
الشيء الذي تعامل به الأسماء فكان الأسماء عند تصغيرها إنما تفرغ في
قالب محدد هو الصيغة. ولذلك قد يختلف الميزان الصرفي عن صيغة التصغير.
(٨٩)

الذين يذهبون إلى أن الألف من (آية) مثقلة عن ياء يعالجون أمر
تصغيرها في ضوء ما ذكره سيبويه من حكم تصغير الاسم الذي يكون ثانيه
ياء، قال سيبويه: "وذلك نحو: بيت وشيخ وميّد. فأحسنه أن تقول: شَيْخ وشَيْد
فتضم ؛ لأن التحقير يضم أوائل الأسماء، وهو لازم له، كما أن الياء
لازمة له. ومن العرب من يقول: شَيْخ وبييت وسييد، كراهية الياء بعد
الضمة". وعلل الرضي هذا الكسر فقال: "وبعض العرب يكسر أول المصغر في
ذوات الياء نحو: نَيْب وشَيْخ، خوفاً على الياء من انقلابها وأوا-لضمة
ما قبلها، وتقصياً من استثقال ياء بعد ضمة لو بقيتا كذلك، وهذا كما قيل
(٨٩) هناك صيغة رابعة للتصغير خاصة بجمع من جموع القلة وهو ما جاء
على بناء (أفعال) مثل أفراس فتصغيره على صيغة (فُعَيْعال): أُنَيْراس.
ويختلف ميزانه عن الصيغة قالميزان الصرفي (أُفَيْعال).

٩٠- سيبويه، الكتاب، ٤٨١/٣ .

٩١- ذهب ابن مالك إلى جواز أن تقلب إلى واو الياء أو ما أنقلب عنها
(التسهيل، ٢٨٤)، ومثل ذلك ابن عقيل بقوله: "نحو بيت وشيخ، أجاز
الكوفيون إقرار الياء نحو: بييت وشيخ، وقلبها واوا نحو: بويت
وشويخ؛ وحكوا عن العرب: بويضة؛ والتزم البصريون الأول، وجعلوا بويضة
تاذا" (ابن عقيل، المعاهد، ٤٩٨/٣)

(٩٢) (٩٣)

في الجمع بيوت وشيوخ - بكرر الفاء - وقرئ به في الكتاب العزيز".

قال المعري معالجا أمر تصغيرها: "ولو صغرت على رأي الخليل لجاز لك أن تقول: أَيْئَة وإِيئَة، كما تقول: تُدِي وتُدِي".^(٩٤)

والمعري يقيس التصغير في (آية) على جمع التكسير لشدي الذي يجوز فيه

ما قاله الجوهري: "وتُدِي على نُعُول، وتُدِي أيضا بكرر الشاء إتباعا^(٩٥) لما بعدها من الكسر".

ولا يختلف أمر تصغيرها عند من يذهب مذهب القراء، قال المعري: "ولو

صغرت على القول الآخر وهو مذهب من يرى أن أصلها: أبة بالتشديد لقلت كما قلت في القول الأول لأنه يرجع إلى مثل حاله".^(٩٦)

ويختلف تصغيرها على رأي أورده ابن فارس؛ وذلك يجعل الالف همزة

مخففة وأنها على زنة (أغية)؛ والسبب في ذلك أن هذه الالف مستثناة مما

يرده التصغير إلى أصله، قال سيبويه في معرض حديثه عن الهمزتين في

٩٢) قال في النشر: "واختلفوا في الضم والكسر من (بيوت، والقيوب، وعيون،

وشيوخا، وجيوب) فقرأ بضم الباء من (البيوت وبيوت) حيث وقع أبو جعفر

والبصريان وورش وحفص وقرأ بكسر العين من (القيوب) وذلك حيث وقع

حمزة وأبو بكر وقرأ بكسر العين من (العيون وعيون) والشين من (شيوخا)

وهو في غائر والجيم من (جيوبهن) وهو في سورة النور ابن كثير وحمزة

والكاسبي وابن ذكوان وأبو بكر إلا أنه اختلف عنه في الجيم من

(جيوبهن) فروى شعيب عن يحيى عنه ضمها وكذلك روى عنه العليمي من

طريقه وروى أبو حمدون عن يحيى عنه كسرهما" (ابن الجزري، النشر في

القراءات العشر ٢/٢٢٦ .

٩٣) الرضي، شرح الثانية، ٢٠٩/١ .

٩٤) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٨ .

٩٥) السابق، ١٠٨-١٠٩ .

٩٦) السابق، نفسه .

الكلمة الواحدة وما يجري من أمر تخفيف الثانية وإعلاها: "وإذا جمعت آدم قلت: أوادم، كما أنك إذا حقرت قلت: أويدم؛ لأن هذه الالف لما كانت ثانية ساكنة وكانت زائدة؛ لأن البدل لا يكون من أنفس الحروف، فأرادوا أن يكسروا هذا الاسم الذي قد ثبتت فيه هذه الالف-صيروا ألفه بمنزلة الف (٩٧) خالد"، وقال السيرافي في شرح هذه القضية: "وذلك أن آدم وإن كان الاصل فيه همزة فقد قلبتها ألفاً على سبيل التخفيف، فصار بمنزلة ما كان ثانيه ألفاً، نحو: ضارب وبازل وخايط". (٩٨)

وقال ابن جنّي: "وإذا أبدلت الهمزة على هذا جرت الالف التي هي بدل منها مجرى ما لا أصل له في همز البتة". (٩٩)

ويكون تصغيرها بناء على ما سبق: (أوية).

وعلى أي حال كان تصغيرها في الأقوال السابقة فإن صفة التصغير (فُعَيْل) والميزان الصرفي هو (فُعَيْلة).

وأما الذين يذهبون إلى زيادة الالف فإن عليهم مراعاة أحكام الإلف الزائدة في التصغير، وما يجلبه ثلاث ياءات من الشقل آخر الاسم فتحنق إحداها، قال سيبويه "واعلم أنه إذا كان بعد ياء التصغير ياءان حذقت التي هي آخر الحروف، ويصير الحرف على مثال فُعَيْل، ويجري على وجوه العربية. وذلك في عطاء: عطى، وتضاء: قضى، وسقاية: سقى، وإداوة: أديت، وفي شاوية شوية، وفي غاو: غوي" (١٠٠)، وعلل سيبويه ذلك بقوله: "وذلك لأن هذه اللام إذا كانت بعد كسرة اعتلت، واستخقلت إذا كانت بعد كسرة فهي غير المعتل، فلما كانت بعد كسرة في ياء قبل تلك الياء ياء التحقير ازدادوا لها استخفاً لا فحذفوها". (١٠١)

(٩٧) سيبويه، الكتاب، ٣/٥٥٢.

(٩٨) السابق، ٣/٥٥٢، ح ٣.

(٩٩) ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ٢/٦٦٥.

(١٠٠) سيبويه، الكتاب، ٣/٤٧١.

(١٠١) السابق، الصفحة نفسها.

قال المعري شارحا هذا التصغير: "فأما من زعم أنها فاعلة في الاصل فيلزمه أن يقول في تصغيرها (أوية)؛ لأن الالف عنده الف فاعلة وليست منقلبة عن ياء وإنما هي كالف ضارب وطالب وهذه الالف تصير واوا في التصغير والجمع فتقول طويلب وغويلب وإذا سميت رجلا طالبا قلت في جمعه (١٠٢) طوالب".

ويلاحظ أن اللفظ يعد تصغيره ليس فيه ثلاث ياءات لأنه في الاصل قد حذفت منه ياء، ولو لم تحذف الياء لوجب حذفها للتصغير. وبهذا تختلف صيغة التصغير عن الميزان، فالصفة (فَعِيل) أما الميزان فهو (تَوِيلَة).

وحاول الفراء أن يستفيد من ظاهرة التصغير في تفسير بناء (آية) إذ رد قول الكسائي، بأنها على فاعلة، محتجا بأن ذلك لا يستقيم مع تصغيرها تصغير الأسماء الثلاثية التي اجتافتها علة ومثاله ما مر معنا من تصغير (آية) على قول الخليل، والظاهر أن الكسائي يصغر آية ذلك التصغير المذكور، ولذلك قال الفراء: "وكان الكسائي يقول إنه فاعلة منقوصة؛ قال الفراء: ولو كان كذلك ما صغرها إيية، بكر الالف". ولما راجع الفراء الكسائي في ذلك زعم أنها صغرت تصغير ترخيم، قال الفراء: "وسألته عن ذلك فقال صغروا عاتكة وفاطمة عتيكة وفطيمة، فالاية مثلها، وقال الفراء: ليس كذلك لأن العرب لا تصغر فاعلة على فعيلة إلا أن يكون اسما في مذهب فلانة فيقولون هذه فطيمة قد جاءت إذا كان اسما، فإذا قلت هذه فطيمة ابنها يعني فاطمة من الرضاع لم يجز، وكذلك صليح تصغيرا لرجل

(١٠٢) رسالة الملائكة، ١١٠-١١١، ولم يكتب أبو العلاء بما عرضه من أمر تصغير آية بل أطلق لخياله أن يعرض لنا احتمالا كان يمكن أن يقال في ذلك وهو أن اللفظة لو لم تكن يائية نجاز أن يدعى أنها من الجذر "ا/و/ي" كأنها علامة يأوي إليها الضال فتكون ألفها منقلبة من الواو وتصح المياء لاجل علة العين ولو صغرت على هذا الرأي لقيت أوية لأنها ترد إلى الاصل كما ترد الساحة إليه.

(١٠٣) ابن منظور، اللسان، ١١٠.

اسمه صالح ، ولو قال رجل لرجل كيف بنتك قال صويلح ولم يجز صليح لانه
(١٠٤)
ليس باسم".

أما الجوهري الذي نسب إلى سبويه أن آية في الاصل: (أُويّة) فلعله
يصرها على (أُويّة) . وهذا التصغير يلتقي مع تصفير (آية) التي على
بناء (فاعلة) لما ذكرته من أمر حذف الياء قبل التصغير أو
للتصغير؛ ولكن هذا من حيث الشكل الظاهر أما صيغة التصغير والميزان
فهما على نحو ما ذكر في تصفير (آية) على رأي الخليل ومن لم يذهب إلى
زيادة الالف، فالصيغة (تُعِيل)، والميزان (تُعَيْلَة).

٤/ب: الجمع

وضع سبويه بابا ترجمه بقوله "هذا باب ما كان واحدا يقع للجميع
ويكون واحده على بنائه ولغظه، إلا أنه يؤنث تلحقه هاء التانيث ليتبين
الواحد من الجمع".^(١٠٥) وهذا ما عرق عند النحويين بعد بمصطلح اسم الجنس
الجمعي، وهو من حيث اللفظ مفرد يأتي على أبنية المفرد ومن حيث المعنى
يدل على جمع متجانس الافراد، ولأنه جاء على بناء المفرد اكتفى في
اللفظ الدال على الواحد منه بتاء التانيث التي أشار سبويه إلى أنها
ليست للفرق بين مذكر ومؤنث بل هي للفرق بين ما يدل على الواحد وما
يدل على الجميع. ومعنى ذلك أن اسم الجنس الجمعي سابق في وضعه لواحده
وأنه لفظ وضع ابتداء للدلالة على جمع، وليس جمعا لواحد بتغيير لبنية
الواحد على نحو ما يحدث في جمع التكسير التالي لمفرده وضعاً، وقد مثل
سبويه لاسم الجنس الجمعي مستقصيا الابنية التي جاء عليها مشيراً إلى
شيوخ ما شاع منها ومبيناً كيف يجمع المفرد منها.^(١٠٦)

ولكي نتصور ترتب الالفاظ حسب وضعها فمثل بما يأتي:

طلع (اسم جنس جمعي)-----> طلحة (مفرد)-----> طلحات (جمع المفرد)

(١٠٤) ابن منظور، اللسان، أبا .

(١٠٥) سبويه، الكتاب، ٥٨٢/٣ .

(١٠٦) السابق، ٥٨٦-٥٨٢/٣ .

والفرق بين اسم الجنس الجمعي والجمع الصحيح هو في الدلالة على الكمية، إذ يدل الأول على الكثرة ويدل الثاني على القلة.

ويعبر سيبويه عن ذلك الترتيب تعبيراً دقيقاً في قوله: "فإذا أردت أدنى العدد جمعت الواحد بالتاء. وإذا أردت الكثير صرت إلى الاسم الذي يقع على الجمع، ولم تكسر الواحد على بناء آخر".^(١٠٧)

على أن هذا لم يمتنعهم عند جمع مفرد اسم الجنس الجمعي من تجاوز اسم الجنس الجمعي إلى جمع تكثير قياساً على ما يكون له جمع تكثير من المفردات، قال سيبويه: "وربما جاءت (الفعلية) من هذا الباب على فعال، وذلك قولك: سخلت وسخال، وبهمة وبهام، وطلحة وطلاح وطلح، شبيهوه بالقصاع".^(١٠٨)

ولعلنا بعد هذا التقديم ندرك أن الحديث عن جمع (آية) حين يعرض له اللغويون يسوقونه أحياناً دون تفرقة بين ما هو جمع وما هو اسم للجنس الجمعي، فهذا ابن دريد يقول: "وجمع آية آي وآيات".^(١٠٩) وقال ابن جنى: "وآياء جمع آية وآي".^(١١٠) أما الجوهري فقال: "وجمع الآية آي وآياي وآيات".^(١١١)

وقد تعقب ابن بري الجوهري فوجهه أخطأ في (آياي)، إذ حكم الياء المتطرقة بعد ألف زائدة أن تقلب همزة؛ فالصواب (آياء)، وأخطأ في عده هذا جمعاً لآية، إذ هو جمع لاسم الجنس الجمعي (آي).^(١١٢)

ويكمن تصوير العلاقة بين هذه التصرفات على هذا النحو:

آياء <-----> [آي] <-----> آية <-----> آيات

وأشار أبو العلاء إلى التغير الصوتي في جمع (آي) فقال: "وإذا جمعت

١٠٧) سيبويه، الكتاب، ٥٨٢/٣ .

١٠٨) السابق، نفسه .

١٠٩) ابن دريد، الجمهرة، ١٩٢/١ .

١١٠) ابن جنى، سر صناعة الإعراب، ٦٦٥/٢ .

١١١) الجوهري، الصحاح، ٢٢٧٥/٦ .

١١٢) ابن منظور، اللسان، آيا .

(أيا) على مثل أزمان وأجمال قلت آياء فقلت الياء الآخرة همزة كما
(١١٣)
فعلت في سقاء وقضاء".

ولم يسمع سوى هذا، غير أن أبا العلاء المعري مولع بالافتراض وبحث
إمكانات التغيير، فهو يذهب إلى أنه لو جمعت (آية) - على مذهب الخليل أي:
(أَيَّة) - كما تجمع (أكمة) على (آكم) لكانت في حالة الرفع والجر :
(١١٤)
(١١٥)
(آي)؛ إذ أصلها: (أأيي)، فجعلت الهمزة الثانية الماكنة ألفا لسبقها
بهمزة مفتوحة، وحذفت الياء الثانية لالتقاء الساكنين حرف العلة (الياء)
والتنوين الساكن. قال أبو العلاء: "قلت في الرفع والخفض هذه آي يا فتى
وعجبت من آي قراهن فلان ولو نصبت لقلت سمعت آيا فاتعظت، غير أن هذا
شيء لم ينطق بمثله إلا أنه على باب: أظي، وأنت قائل في التصب رأيت
أظيا ولا يمكنك أن تدغم إذا نصبت في قولك رأيت آييا؛ لأنك تصير
بالاسم إلى ما يستثقلون ولكنك تخفي إن شئت".
(١١٦)

٤/ج: النسب

تعددت صور النسب إلى (آية)؛ إذ نجد عند سيبويه ثلاث صور: آئي، وآيي،
وآوي. وثم صورة رابعة ذكرها الجوهري وهي (أووي).

٤/ج: ١- الصورة الأولى: (آئي)

ينطلق تفسير التغيير في هذه الصورة من مبدأ كراهية اجتماع
المتماثلات الذي يتخلص منه بوسائل مختلفة منها الإبدال، فالأصل هنا هو
(آيي)، أما الإبدال إلى همزة فنلوقوع الياء بعد الالف، وشرح سيبويه هذا
بقوله: "وسأله عن الإضافة إلى راية وطاية وثاية وآية ونحو ذلك،
فقال: أقول: رائي وطائي، وثائي، وآئي. وإنما همزوا لاجتماع الياءات مع

(١١٣) المعري، رسالة الملائكة، ١١٠.

(١١٤) قال ابن ميدة: "والجمع: أكم، وأكم، وإكم، وإكام، وآكم، وآكم

كأئي، الآخرة عن ابن جني" (المحكم، ٧/٧٥).

(١١٥) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٩.

(١١٦) رسالة الملائكة، ١٠٩. وأظي، جمع ظبي وهي على وزن (أنج)، وأصلها:

أظبي، قبل حذف الياء لالتقاء ساكنين، على وزن (أفعل).

الالف، والالف تشبه بالياء، فصارت قريبا مما تجتمع فيه أربع ياءات،
فهمزوها استثقالا، وأبدلوا مكانها حمزة، لأنهم جعلوها بمنزلة الياء
التي تبدل بعد الالف الزائدة؛ لأنهم كرموها ما هنا كما كرمت ثم، وهي
هنا بعد الف كما كانت ثم، وذلك نحو ياء رداء".^(١١٧)

أصل الهمزة :

يشير أبو العلاء في الحديث عن هذه الصورة سؤالاً وهو: انقلاب الهمزة
عن ياء مباشرة أم عن واو قلبت عن الياء قال: "ولقائل أن يقول الأصل آي
بلا امتراء فالهمزة هل حدثت عن الياء أم عن الواو، فيقال له كل ذلك
(١١٨)
يجوز".

علة قلب الواو همزة :

فصل المعري القول في جواز القول بانقلاب الهمزة عن الواو: آوي، آئي،
ثم راح يحشد الشواهد اللغوية على هذه الظاهرة، قال:

"فإن شئت قلت قلبوا الياء واوا ثم حمزوا الواو لأنها مكسورة كما
قالوا في وشاح وإشاح وكان هذا ألوم لأن بعد السواو ياءين ألا ترى أن
همزة بعدها ياء مشددة قد جاءت في كلامهم صدرا للكلمة فقالوا إيالك
وإيل للذي في الجبل وليس في كلامهم واو مكسورة بعدها ياء مشددة في
صدر كلمة البتة وقد جاءوا بالهمزة المفتوحة وبعدها الياء المشددة في
مواضع كثيرة ولم يفعلوا ذلك في الواو إلا تراهم قالوا للرجل أيّم
وللمرأة أيّم، وقالوا أيّ القوم معك ورجل أيّد وأيّد الله، وليس في
كلامهم مثل ويّل ولا ويّر".^(١١٩)

علة قلب الياء همزة :

وعلى نحو ما احتج المعري لقلب الواو همزة وإن هذا ألزم لما استدل
به من الشواهد نجده أيضا يستشهد على هذه الظاهرة بالشواهد اللغوية، قال:

(١١٧) ميبويه، الكتاب، ٣/٣٥٠ .

(١١٨) المعري، رسالة الملائكة، ١٢٣ .

(١١٩) السابق، ١٢٣-١٢٤ .

"وأما قلبهم الياء إلى الهمزة فكما قلبوها في قولهم يدِي وأدِي وهو العيش الواسع ويلنجرج والنجوج. والياء إذا كانت متحركة بالكر وتبليها ما يكت عليه فهي جارية صجرى ما يبدأ به في بعض الجهات ولا ريب في أنهم آثروا الابتداء بالهمزة على الابتداء بالياء إلا ترى أن أفعل في الاسماء أكثر من يفعل فباب أحمر وأصفر لا يقاس به في الكثرة باب يرمع ويلمع واليرمع حجارة رفاق تنفت باليد واليلمع البرق والمراب وقالوا أصبح أبلم ولم يقولوا يرمع وقد حكى يعفر على الاتباع وقال بعض أهل اللغة ليس في كلامهم اسم أوله ياء مكسورة إلا قولهم اليسار لليد هكذا قال ابن دريد وغيره يقول يار بانفتح فإذا كان ذلك على ما تعرفه العامة فقد فقدت ياء مكسورة في أول الاسماء إلا أن يجيء في مصدر فاعلت فإنهم يضطرون إلى ذلك إذا قالوا ياسرت الرجل يسارا وقد استغنوا بالمياسرة وكذلك قالوا يامنت أي أتيت اليمن ولعلمهم يجتنبون اليمان في المصدر ويفرون منه إلى الميامنة ويدلك على أن الكسرة عندهم مع الهمزة أيسر منها مع الياء أنهم يقولون أعلم وإستعين وإخال فيكسرون مع الهمزة كما يكرون مع التاء والتون. وقد قرأت بذلك القراء يحيى بن وثاب وغيره ويروى أنه قرأ إنأتمته قليلا ثم أظطره إكسر الهمزة من أظطره وكذلك يفعل في غيرها من حروف المضارعة فقرأ أيوم تبيض وجوه وتسود وجوه أو لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، وهذه لغة للعرب فيما كان على فَعَل يفعل وما جاوز الأربعة نحو: أسود وأقشعر. وإذا صاروا إلى الياء فروا إلى الفتح فلم يقولوا يعلم كذلك يقول سيبويه وقد حكاها الفراء عن قوم من العرب وإن صحت فهي شاذة وليس هذا من باب ينحل وقرأ أصحاب القراءة التي مر ذكرها إن كنتم تيلمون فإنهم يالمون كما تيلمون فكسروا مع التاء ولم يكسروا مع الياء فهذا (١٢٠) يبين حال (آية) في النصب".

١٢٠) المعري، رسالة الملائكة، ١٢٣-١٢٧.

وينطلق تفسير الصورة الثانية وهي ما ورد ذكرها سابقا من صفة الياء إذ الياء قد تكون في نهاية الاسم فيمد الاسم بها صحيحا لأنها مسبوقه بماكن مثل طبي، ولا تتغير الياء منه عند النسب فيقال:طبيي.وقد يكون الاسم بالياء اسما منقوصا فتتغير منه الياء مثل:شجي فيقال عند النسب: شجوي. والياء في مثل أمية هي من النوع الذي لا يتغير بعد حذف التاء لأنها ياء مسبوقه بماكن،ولذلك تعامل عند النسب معاملة (طبي) فينسب إليها: أميي، مثل: طبيي. قال سيبويه: "ومن قال:أميي قال:آبي ورايى بغير همز؛ لأن هذه لام غير معتلة،وهي أولى بذلك لأنه ليس فيها أربع ياءات،ولأنها أقوى".^(١٢١)

قال السيرفي:وأما من قال:رايى فائتبت الياء فلأن هذه الياء صحيحة تجري بوجوه الإعراب قبل النسبة،كياء طبي،فلما كانت النسبة إلى طبي من غير تغيير،كان رايب كذلك.^(١٢٢)

وأوضح أبو علي الفارسي أنه لا يصح أن يقاس على آية غيرها مما يكون حرف العلة بعد الف لأن الفها متقلبة عن أصل وليست زائدة قال:"فأما إبدالهم الياء التي هي لام واوا نسي (أتاوي)فعلى ما جاء في أحد الأتوال في راية وآية.

فإن قلت :أيجوز التصحيح في (أتاوي) في القياس عندك كما جاء (آبي) بتصحيح الياء؟فإن ذلك لا يجوز كما جاز في باب آية وذلك لأن الحرف بوقوعه بعد الالف الزائدة أدخل في الاعتلال.ألا تراهم قالوا :آسي تصحوا مع حذف التاء،وآقروها،وليس واحدا مثل ذلك في باب سقاية وعباية فكذلك لا ينبغي تصحيح هذا وإن صح آبي".^(١٢٣)

ومما يؤيد هذه الصورة أنه على الرغم من أن الاسم الختفي بياء

١٢١)سيبويه،الكتاب،٣/٣٥٠-٣٥١ .

١٢٢)السابق،٣/٣٥٠،ح٢ .

١٢٣)الفارسي،البصريان١٥٦/٢٥٦-٢٥٧ .

مشددة بعد حرفين حقه أن تحذف إحداهما وتقلب الأخرى واوا؛ روى ما أبقى
على هذه الياء ؛ قال سيبويه: "ومثل ذلك قمى، منهم من يقول: قصي".^(١٢٤)

وقال أبو العلاء: "لأنهم قد كثر في كلامهم مثل هذا إذ كانوا يقولون
رجل عيى وهذا مكان محيى فيه وأمر معيى به".^(١٢٥)

٤/ج:٣- الصورة الثالثة (أوي):

ويعتمد تفسير هذه الصورة على ما اعتمد عليه تفسير الصورة الأولى
وهو التخلص من التماثلات، وإبدال الياء واوا في النسب هو الإجراء
العام الذي يتخلص به من اجتماع الياءات، قال سيبويه: "ولو أبدلت مكان
الياء الواو فقلت: ثاوي وآوي وطاوي وراوي جاز ذلك".^(١٢٦)

وغير أبو العلاء هذه الصورة بقوله: "وأما قلبهم إلى الواو فلاجل
اليات والهمز فروا إليه لاجتماع الحروف التي جرت عاداتها بأن
تعتل".^(١٢٧)

فالتغير على هذا النحو: آيى --- آوي

على أننا نجد عند السيراني قولاً يفهم منه أن هذه الواو منقلبة عن
الهمزة كراهة وقوعها بين ألف وياء، فالتغير هو: آيى --- آيى --- آوي، قال:
السيراني: "وأما من قال: راوي فإنه استثقل الهمزة بين الياء والألف،
تجعل مكانها حرفاً يقاربها في المد واللين، ويفارقتها في الموضع، وهي
الواو".^(١٢٨)

الصورة الرابعة: (أوي)

هذه الصورة هي امتداد لما نسبته الجوهري إلى سيبويه من أن عين

-
- ١٢٤) سيبويه، الكتاب، ٢/٣٥١.
 - ١٢٥) المعري، رسالة الملائكة، ١٢٣.
 - ١٢٦) سيبويه، الكتاب، ٢/٣٥١.
 - ١٢٧) المعري، رسالة الملائكة، ١٢٣.
 - ١٢٨) سيبويه، الكتاب، ٢/٣٥٠، ج: ٣.

(آية) هي الواو. قال الجوهري: "وتكون النسبة إليه أووي"، ونقل هذا عنه
(١٣٠)
الصفدي.

ورد هذه الصورة تابع لرد الجذر نغمه الذي بين عند تعداد مرجحات
الجذر. وقال [ابن بري]: "نأما أووي فلم يقله أحد علمته غير الجوهري."
(١٣١)
(١٣٢)

* * *
* *
*

خاتمة:

نود قبل أن نختم هذا البحث أن نضع جدولا يزوي ما عرضناه من أقوال
في جذور الكلمة وبنائها ووزنها وما فيها من إعلال واختلافات في تفسير
هذا الإعلال مع نسبة كل قول إلى صاحبه.

-
- ١٢٩) الجوهري، الصحاح، ٦/٢٢٧٥ .
 - ١٣٠) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، غوامض الصحاح، ١٠٥ .
 - ١٣١) انظر هذا بعد المدخل: ١/ب .
 - ١٣٢) ابن منظور، اللسان، أيا .

الجذر	البناء	الوزان	الإعلا	تفسير الإعلا	صاحب القول
ء / و / ي	فَعَل	فَعْلَة	قلب الواو (العين) الفا	لتحركها وانفتاح ما قبلها	نبيه الجوهري إلى سيويه
ء / ي / اي	فَعَل	فَعْلَة	قلب الياء (العين) الفا	لتحركها وانفتاح ما قبلها	الخليل
ء / ي / اي	فَعَل	فَعْلَة	قلب الياء (العين) الفا	لتحركها وانفتاح ما قبلها	غير منسوب
ء / ي / اي	فَعَل	فَعْلَة	قلب الياء (العين) الفا	لتحركها وانفتاح ما قبلها	غير منسوب
ء / و / ي	فَعَل	فَعْلَة	قلب الياء (اللام) الفا	لتحركها وانفتاح ما قبلها	ذكره السمين وابن عقيل
ء / ي / اي	فَعَل	فَعْلَة	قلب الياء (العين) الفا	تخلصا من متماثلات تخفيفا	رواه سيويه، واتخذة الفرا
ء / ي / اي	فَاعِل	فَاعِلَة	حذف الياء	تخلصا من متماثلات	الكاشي
ء / ي / اي	فَاعِل	فَاعِلَة	تلبت الياء ألفا ثم حذفت	تخلصا من لقاء الفين ماكتنين	ورد في اللسان
ء / و / ي	فَاعِل	فَاعِلَة	حذف الهمزة	تخلصا من متماثلات	افترضه المعر
ء / و / ي	فَعَل	فَعْلَة	قلب الهمزة (العين) الفا	تخلصا من متماثلات	رواه ابن قار

ونستطيع بعد هذا الاستعراض لأقوال العلماء على اختلافها أن نبتين
أن الجمهور يذهب إلى أن (آية) ترجع إلى جذور ثلاثية هي (ء / ي / و)، أما من
حيث البنية وما حدث في اللفظ من تغير فلدينا رأيان أساسيان أحدهما
الرأي المنسوب إلى الخليل وهو أن (آية) في الاصل (أَيْتَة). والثاني
الرأي الذي أخذ به الفراء وهو أنها في الاصل (أَيْتَة). وانقسم المتأخرون
بين مؤيد لقول الخليل ومؤيد لقول الفراء، نرأينا ابن عصفور يدافع عن

قول الخليل ويذهب مذهبه، ورأينا العكبري وابن مالك يأخذان برأي
الفراء.

ورأينا أن لكل رأي عيبه نعيب رأي الخليل أن حق التغيير أن يكون في
الياء الثانية من (آية)، وعيب رأي الفراء أن الإدغام من أهم وسائل
التخلص من التماثلات وليس توالي همزة وياء مشددة بالأمر الموجب
للتخلص من الياء إذ نجده في ما هو أكثر استخداما من اللفظ (آية)؛ إذ
نجد في (أي)، و(يآك)، ونجده في ألفاظ آخر مثل: (أيم، وأيل). ولا يصار
إلى التخلص من التماثلات بالقلب إلا إن كان الإدغام متعذرا أو يسورت
ثقلا لا يتحقق معه الغرض.

وأما الاحتجاج بسهولة القول بغير مقبول إذ لا يكفي أن تكون العلة
سهلة بل يجب أن تكون أقرب إلى الاطراد وإلى كونها قانونا.

وإن ما روي من أمثلة جاءت على لغة الحارث بن كعب فبعضها ترجع إلى
تغليب صورة المثني بالالف وليت قلبا للياء إلى الف. أما الكلمات
المنتهية بالف منقلبة عن ياء أصلا فقد أبقى على الالف فلم ترد إلى
أصلها (على) على (على) (علام)، وأما الأمثلة الأخرى التي هي ياءات
قلبت إلى الف فهي جارية على التفسير الذي قدمه إبراهيم أنيس ومفاده
(١٣٤) أنها قد مرت بمراحل فهي قد حول المصوت المركب (ي) منها إلى الف
مماثلة كما في الكلمة date ثم حولت إلى الف خالصة بعد ذلك. مثال ذلك
كلمة (بيض: baiḍ → baḍe → bād).

من أجل ذلك أجدني مائلا إلى قول الخليل منغضا عن القدر الذي وسع
به، وذلك أن ظاهرة تغير العلة بسبب تحركها وانفتاح ما قبلها أشيع من
تليها تخلصا من التماثل. وأمر آخر يعزز ذلك هو أن تحرك الياء وانفتاح
ما قبلها قانون صوتي لا يحتمل فيه التفسير سوى ذلك أي أن الياء لا

(١٣٣) الشمان، التخلص من التماثلات لفظا، ٨٠، ١١٩.

(١٣٤) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ١٤٣.

يمكن وفاقا لهذا القانون إلا أن تكون ألفا، وأما في القلب الذي يهدف إلى التخلص من المتماثلات فقد يعود إلى القلب إلى واو أو ألفا أو حمزة، إذ نجد في مثل (حيوان) أن الياء قلبت إلى واو عند عن يذهب إلى قلبها، وفي النسب: (حيي) قلبت إلى واو (حيوي)، وفي النسب قلبت إلى همزة في (آيي) ----- آئي).

ويمكن انطلاقا من اشتقاق الكلمة القول إن (آية) مأخوذة من (آي) بإساق التاء وهو شان المفرد المأخوذ من اسم الجنس الجمعي، والتغير الذي هو قلب للياء وقع على الياء الأولى لا الثانية من (آي) لأنها هي الملازمة للحركة مع سبقها بالفتح بخلاف الثانية التي تفقد حركتها في الوقت، فلعل هذا رجع لإعلال الياء الأولى على الثانية على ما فيه من شذوذ.

* * *

المصادر والمراجع:

- إبراهيم؛ عبد العليم:
تيسير الإعلال والإبدال (مكتبة غريب/القاهرة، ١٩٦٩ م.)
الانصاري؛ أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت (٢١٥هـ):
النوادر في اللغة (ط٢، دار الكتاب العربي/بيروت، ١٩٦٧ م.)
أنيس؛ إبراهيم:
في اللهجات العربية (ط٤، مكتبة الانجلو المصرية/القاهرة ١٩٧٣ م.)
البيгдаدي؛ عبد القادر بن عمر (١٠٩٣ م.):
خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب، تحق. عبدالسلام محمد هارون
(ط١، دار الكاتب العربي/القاهرة، ١٩٦٨ م.)
ابن الجزري؛ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (٨٣٣هـ):
النشر في القراءات العشر، بعناية: علي محمد الضباع (المكتبة
التجارية الكبرى، د.ت.)

ابن جني؛ أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ) :

- المنصف، تحقق. إبراهيم مصطفى (ط١)، وزارة المعارف العمومية /
القاهرة، ١٩٥٤م.)

- سر صناعة إعراب، تحقق. حسن هندراوي (ط١)، دار القلم / دمشق، ١٩٨٥م.)
الجوهري؛ إسماعيل بن حماد (٣٩٨هـ) :
الصاح، تحقق. أحمد عبد القفور عطار (ط٢)، دار المعلم للملايين / بيروت،
١٩٧٩م.)

ابن خالويه؛ أبو عبدالله الحسين بن أحمد (٣٧٠هـ) :

الحجة في القراءات السبع، تحقق. عبد العال سالم مكرم (ط٢)، دار
الشروق / القاهرة، ١٩٧٧م.)

ابن دريد؛ أبو بكر محمد بن الحسن (٣٤١هـ) :

جمهرة اللغة (ط١)، دائرة المعارف / حيدرآباد، ١٩٢٥م.) صورة المثنى.
الدلائل؛ محمد بن أبي بكر المرابط (١٠٨٩هـ) :

نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، تحقق. مصطفى الصادق الغربي
(الكتاب والتوزيع والإعلان والنشر، بنغازي، د.ت.)

الدمامي؛ محمد بدر الدين بن أبي بكر بن عمر (٨٢٧هـ) :

تعليق الفرائد على تهليل الفوائد، تحقق. محمد عبدالرحمن المفدى
(ط١، ١٩٨٣م.)

ريين؛ شاييم :

اللهجات العربية الغربية القديمة، تر. عبدالرحمن أيوب (جامعة
الكويت / الكويت، ١٩٨٦م.)

الزجاج؛ أبو إسحاق إبراهيم بن السري (٣١١هـ) :

معاني القرآن وإعرابه، تحقق. عبد الجليل عبده شلبي (ط١، عالم
الكتب / بيروت، ١٩٨٨م.)

السمين؛ أحمد بن يونس (٥٦٦هـ) :

الدر المصون في علوم الكتاب المكتون، تحقق. أحمد محمد الخراط (ط١،
دار القلم / دمشق، ١٩٨٦م.)

- سيوييه؛ أبوبشر عمرو بن قنبر (١٨٠هـ):
 - الكتاب، تحق. عبدالسلام محمد هارون (الهيئة المصرية العامة
 للكتاب/القاهرة، ١٩٦٦م.).
- ابن سيده؛ علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ):
 المحكم والمحيط الاعظم في اللغة، تحق. مصطفى السقا، وحين نصار
 السيوطي؛ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ):
 شرح شواهد المغني (لجنة التراث العربي/دمشق، د.ت.).
 الثمان؛ أبو أوس إبراهيم:
 "التخلص من المتماثلات لفظاً"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية
 (جامعة الكويت/الكويت، ١٩٩٤م.)، ٤٧٤، ص ٧٧-١٣٧.
- الصفدي؛ صلاح الدين خليل بن أيبك (٧٦٤هـ):
 غوامض الصحاح، تحق. عبدالإله نبهان (ط١)، معهد المخطوطات/الكويت،
 (١٩٨٥م.)
- أبو عبدة؛ معمر بن العثنى التيمي (٢١٠هـ):
 مجاز القرآن، تحق. محمد فؤاد سزكين (ط٢)، مكتبة الخانجي/القاهرة،
 (١٩٧٠م.)
- ابن عصفور؛ أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي (٦٦٩هـ):
 الممتع في التصريف، تحق. فخر الدين قباوه (ط١)، المكتبة العربية/
 حلب، (١٩٧٠م.)
- ابن عقيل؛ بهاء الدين عبدالله (٧٦٩هـ):
 المساعد على تهيل الفوائد، تحق. محمد كامل بركان (جامعة
 أم القرى/مكة المكرمة، ١٩٨٠م.)
- العكبري؛ أبو البقاء (٦١٦هـ):
 التبيان في إعراب القرآن، تحق. علي محمد الجاوي (عيسى البابي
 الحلبي/القاهرة، ١٩٧٦م.).

- ابن عاصم؛ أبوطالب المفضل بن سلمة (٢٩٠هـ):
 الفاخر، تحقق. عبدالعليم الطحاوي (ط١)، الهيئة المصرية العامة
 للكتاب/ القاهرة ١٩٧٤م.).
- الفراء؛ أبو زكريا يحيى بن زياد (٢٠٧هـ):
 معاني القرآن، تحقق. أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار (دار
 الكتب المصرية/ القاهرة، ١٩٥٥م.).
- ابن فارس؛ أبو الحسين أحمد بن زكريا (٣٩٥هـ):
 - مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد مارون (ط٢)، مصطفى البياي
 الحلبي/ القاهرة، ١٩٧٠م.).
- مجمل اللغة، تحقق. هادي حسن حمودي (ط١)، معهد المخطوطات العربية/
 الكويت، ١٩٨٥م.).
- الفارسي؛ أبو علي الحسن بن أحمد (٣٧٧هـ):
 المسائل البصريات، تحقق. محمد الشاطر أحمد محمد أحمد (ط١،
 مطبعة المدني/ القاهرة، ١٩٨٥م.).
- المؤدب، القاسم بن محمد بن سعيد (٣٤٣هـ):
 - دقائق التصريف، تحقق. أحمد تاجي القيسي، وحاتم الضامن، وحسين
 تورال (المجمع العلمي العراقي/ بغداد، ١٩٨٧م.).
- دقائق التصريف، تحقيق ودراسة: محمد سالم الهزاع (رسالة ماجستير،
 جامعة الملك سعود/ الرياض، ١٩٨١م.).
- مجمع اللغة العربية:
 المعجم الكبير (مطبعة دار الكتب/ القاهرة، ١٩٧٠م.).
- المعري؛ أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان (٤٤٩هـ):
 رسالة الملائكة، تحقق. لجنة من العلماء (ط٢)، دار الاثاق الجديدة/
 بيروت، ١٩٧٩م.).
- ابن منظور؛ جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ):
 لسان العرب (طبعة بولاق/ القاهرة ١٣٠٨هـ- [١٨٩١م]).
- ابن مالك؛ أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله (٦٧٢هـ):

تمهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات (دار

الكتاب العربي/القاهرة، ١٩٦٧م.)

ابن يعين؛ أبو البقاء موفق الدين يعين بن علي (٦٤٣هـ):

شرح المفصل (دار الطباعة المنيرية/القاهرة، د.ت.).